

سارعوا وأصلحوا واتقوا ... شعبان شهر ترفع فيه الأعمال



الأحد 21 مارس 2021 09:44 م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: 133)

أنعم الله تعالى على عباده بمواسم معينة لزيادة الأعمال والطاعات والعبادات فيها، والتقرب من الله تعالى، فتنال الأعمال فيها البركة ببركة الزمان التي حدثت فيه، ومن الأزمان التي كان يكثر فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- من العبادات والقرابات، شهر شعبان، حيث روى البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: (لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهراً أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله)، فكان النبي -عليه الصلاة والسلام- حريصاً على الطاعة والعبادة رغم مغفرة الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، كما كان الصابرة -رضي الله عنهم- يتأفسون ويتسابقون في الطاعات والعبادات، ولا بد للمسلم من الحرص على الاجتهاد في مواسم العبادات، والاجتهاد في شهر شعبان خاصة، حيث إنه يُعين على الاجتهاد في شهر رمضان، وفي ذلك يقول ابن رجب رحمه الله: (إِنَّ صِيَامَ شَعْبَانَ عَلَى الصَّيَامِ رَمَضَانَ لَيْلًا يَدْخُلُ فِي صَوْمِ رَمَضَانَ عَلَى مَسَقَةٍ وَكُلْفَةٍ، بَلْ قَدْ تَمَرَّنَ عَلَى الصِّيَامِ وَاعْتَادَهُ، وَوَجَدَ بِصِيَامِ شَعْبَانَ قُبْلَةَ خَلَاوَةِ الصِّيَامِ وَلَدَّتْهُ، فَيَدْخُلُ فِي صِيَامِ رَمَضَانَ بِقُوَّةٍ وَنِسَابٍ، وَلَمَّا كَانَ شَعْبَانُ كَالْمَقْدَمَةِ لِرَمَضَانَ سُرْعَ فِيهِ مَا يُسْرَعُ فِي رَمَضَانَ مِنَ الصِّيَامِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ لِيَحْضُرَ النَّاهِبُ لِيَتَّقِيَ رَمَضَانَ، وَيُرْتَابُ النَّفْسُ بِذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ).

وتخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم لشهر شعبان في الصيام مقروناً برفع الأعمال إلى الله، أي أنّ الأعمال ترفع إلى الله في شهر شعبان، بينما تُعرض كل اثنين وخميس من أيام الأسبوع، وتجدر الإشارة إلى أنّ رفع الأعمال إلى الله يكون على ثلاثة أنواع؛ فيرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، كما ترفع إليه الأعمال يومي الاثنين والخميس، وترفع أيضاً في شهر شعبان بالخصوص، ومما يدلّ على ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر)، ولأجل رفع الأعمال إلى الله في شهر شعبان أحبّ النبي أن يكون ذلك وهو صائم، فذلك أدعى لقبول الأعمال من الله تعالى، كما أنّه أحبّ إلى الله عزّ وجلّ وتجدد الإشارة إلى أنّ ليلة النصف من شعبان مكانة خاصة، وفي ذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: (يُطَلِّعُ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ فِي لَيْلَةِ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاجِنٍ)، فالشحناء والبغضاء التي قد يستهين بها البعض من أسباب عدم اطلاع الله على العباد، إضافةً إلى أنّها من أسباب عدم قبول الصلاة والأعمال، فلا بدّ من الإخلاص والسلامة من الحقد والحسد والغش لقبول الأعمال،

ولقد حفل شهر شعبان بالعديد من الأحداث التاريخية المهمة المتعلقة بالمسلمين، ففيه أمر الله تعالى المسلمين بالجهاد في سبيله، وأوجب عليهم، وألزمهم به، كما حوّلت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في شهر شعبان، بعد أن صلّت جموع المسلمين إلى جهة بيت المقدس، وأحدث ذلك العديد من التساؤلات خاصةً أنّ تحويل القبلة كان بعد الأمر بالجهاد، ولذا كانت التربية بالأحداث للجليل القرآني الفريد لتكون قدوة للأمة المسلمة حتي تقوم الساعة ففي آية واحدة نجد قواعد التصور الإيماني الصحيح، وقواعد السلوك الإيماني الصحيح، وتحديد صفة الصادقين المتقين:

{ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَجِيئَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177) البقرة }

ونحن نستعد لعبادات شهر رمضان نجد أنه ليس القصد من تحويل القبلة، ولا من شعائر العبادة على الإطلاق، أن يولي الناس وجوههم قبل المشرق والمغرب، نحو بيت المقدس أو نحو المسجد الحرام، وليست غاية البر- وهو الخير جملة- هي تلك الشعائر الظاهرة، فهي في ذاتها- مجردة عما يصاحبها في القلب من المشاعر وفي الحياة من السلوك- لا تحقق البر، ولا تنشئ الخير، إنما البر تصور وشعور

وأعمال وسلوكٍ تصور ينشئ أثره في ضمير الفرد والجماعة؛ وعمل ينشئ أثره في حياة الفرد والجماعة ولا يغني عن هذه الحقيقة العميقة تولية الوجوه قبل المشرق والمغربٍ سواء في التوجه إلى القبلة هذه أم تلك؛ أو في التسليم من الصلاة يمينا وشمالاً، أو في سائر الحركات الظاهرة التي يزاولها الناس في الشعائر

إن إقامة الصلاة شيء غير التولي قبل المشرق والمغربٍ إنها توجه الإنسان بكليته إلى ربه، ظاهرًا وباطنًا جسماً وعقلاً وروحاً إنها ليست مجرد حركات رياضية بالجسمٍ وليست مجرد توجه صوفي بالروحٍ فالصلاة الإسلامية تلخص فكرة الإسلام الأساسية عن الحياة إن الإسلام يعترف بالإنسان جسماً وعقلاً وروحاً في كيان؛ ولا يفترض أن هناك تعارضاً بين نشاط هذه القوى المكونة في مجموعها للإنسان، ولا يحاول أن يكبت الجسم لتنتلق الروح، لأن هذا الكبت ليس ضرورياً لانطلاق الروحٍ ومن ثم يجعل عبادته الكبرى الصلاة مظهرًا لنشاط قواه الثلاث وتوجهها إلى خالقها جميعاً في ترابط واتساقٍ يجعلها قيماً وركوئاً وسجوداً تحقيقاً لحركة الجسد، ويجعلها قراءة وتدبراً وتفكيراً في المعنى والمبنى تحقيقاً لنشاط العقل؛ ويجعلها توجهاً واستسلاماً لله تحقيقاً لنشاط الروحٍ كلها في أن الصلاة على هذا النحو تذكر بفكرة الإسلام كلها عن الحياة، وتحقق فكرة الإسلام كلها عن الحياة في كل ركعة وفي كل صلاة

وإيتاء الزكاة؟.. إنه الوفاء بضرية الإسلام الاجتماعية التي جعلها الله حقاً في أموال الأغنياء للفقراء، بحكم أنه هو صاحب المال، وهو الذي ملكه للفرد بعقد منه، من شروطه إيتاء الزكاة وهي مذكورة هنا بعد الحديث عن إيتاء المال- على حبه- لمن ذكرتهم الآية من قبل على الإطلاق؛ مما يشير إلى أن الإنفاق في تلك الوجوه ليس بديلاً من الزكاة، وليست الزكاة بديلاً منه، وإنما الزكاة ضريبة مفروضة، والإنفاق تطوع طليقٍ والبر لا يتم إلا بهذه وتلكٍ وكتاهما من مقومات الإسلام وما كان القرآن ليذكر الزكاة منفردة بعد الإنفاق إلا وهي فريضة خاصة لا يسقطها الإنفاق، ولا تغني هي عن الإنفاق

والوفاء بالعهد؟ إنه سمة الإسلام التي يحرص عليها، ويكررها القرآن كثيراً؛ وبعدها آية الإيمان، وآية الأدمية وآية الإحسان وهي ضرورية لإيجاد جو من الثقة والطمأنينة في علاقات الأفراد وعلاقات الجماعات وعلاقات الأمم والدول تقوم ابتداء على الوفاء بالعهد مع الله وبغير هذه السمة يعيش كل فرد مفزغاً قلماً لا يركن إلى وعد، ولا يطمئن إلى عهد، ولا يثق بإنسان، ولقد بلغ الإسلام من الوفاء بالعهد لأصدقائه وخصومه على السواء قمة لم تصعد إليها البشرية في تاريخها كله، ولم تصل إليها إلا على حياء الإسلام وهدى الإسلام

والصبر في البأساء والضراء وحين البأس؟.. إنها تربية للنفوس وإعداد، كي لا تطير شعاعاً مع كل نازلة، ولا تذهب حسرة مع كل فاجعة، ولا تنهار جزعاً أمام الشدة إنه التجمل والتماسك والثبات؛ حتى تنقشع الغاشية، وترحل النازلة، ويجعل الله بعد عسر يسراً إنه الرجاء في الله، والثقة بالله، والاعتماد على الله ولا بد لأمة تناط بها القوامة على البشرية، والعدل في الأرض والصلاح، أن تهياً لمشاق الطريق ووعثائه بالصبر في البأساء والضراء وحين الشدة الصبر في البؤس والفقر والصبر في المرض والضعف والصبر في القلة والنقص والصبر في الجهاد والحصار، والصبر على كل حال كي تنهض بواجبها الضخم، وتؤدي دورها المرسوم، في ثبات وفي ثقة وفي طمأنينة وفي اعتدال

ويبرز السياق هذه الصفة صفة الصبر في البأساء والضراء وحين البأس يبرزها بإعطاء كلمة {الصابرين} وصفاً في العبارة يدل على الاختصاص فما قبلها من الصفات مرفوع أما هي فممنوعة على الاختصاص بتقدير: وأخص الصابرين وهي لفظة خاصة لها وزنها في معرض صفات البر لفظة خاصة تبرز الصابرين وتميزهم، وتخصص هذه السمة من بين سمات الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنبیین وإيتاء المال- على حبه- وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد وهو مقام للصابرين عظيم، وتقدير لصفة الصبر في ميزان الله، يلفت الأنظار وهكذا تجمع آية واحدة بين أصول الاعتقاد، وتكاليف النفس والمال، وتجعلها كلاً لا يتجزأ، ووحدته لا تنفصم

وتضع على هذا كله عنواناً واحداً هو البر، أو هو جماع الخير، أو هو الإيمان كما ورد في بعض الأثر، والحق أنها خلاصة كاملة للتصور الإسلامي ولمبادئ المنهج الإسلامي المتكامل، لا يستقيم بدونها إسلام؛ ومن ثم تعقب الآية على من هذه صفاتهم بأنهم: {أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون}. أولئك الذين صدقوا ربهم في إسلامهم صدقوا في إيمانهم واعتقادهم، وصدقوا في ترجمة هذا الإيمان والاعتقاد إلى مدلولاته الواقعة في الحياة

(مَآسِئُهُمُ الْخَيْرَاتِ) (البقرة: من الآية 148) إنه سباق إلى الخيرات في شهر شعبان، الكل يسارع إلى مغفرة الله ورحمته في هذا الشهر الكريم، الكل يفتح صفحة جديدة يكون أولها خير وطاعة مع رب العالمين، فلتبدأ هذه الصفحة في شعبان ثم تعلق في رمضان وتستمر طوال الأيام